فقيه عارف، وقائد جهادي مؤسّس

الشهيد السيد عبد الحسين دَسْتِغَيْب

معلم الأخلاق القدوة، وشهيد المحراب

الشهيد دستغيب في مجلس الإمام الخميني قدس سرهما

وُلد الشّهيد آية الله السيد عبدالحسين دستغيب ليلة العاشر من المحرّم سنة 1333 هـ، في مدينة شيراز الإيرانيّة. ولمّا بلغ الثانية عشرة من عمره، تُوفّي والده السيد محمد تقي مرجعُ محافظة فارس في زمانه، فتكفّل، على صغر سنّه، والدته وشقيقاته الثلاث وشقيقيه، بالرّعاية.

* سنة 1355هـ، قصد النّجف الأشرف لمواصلة دراسته الحوزويّة، بعدما أنهى مرحلتَي المقدّمات والسطوح في شيراز، وفي ظروف معيشية وسياسيّة صعبة للغاية، حيث اعتُقل وسُجن عدّة مرّات لرفضه خلع زيّ العلماء، إمتثالاً لأوامر رضا خان والد الشاه المخلوع سنة 1979م.

يقول رحمه الله: «في زمان رضا خان الدكتاتور الملعون، ألقوا بنا في السجن عدّة مرات. بعد ذلك أخذوا يمارسون الضغوط لإخراجي من سلك علماء الدين، وأمهلوني أربعاً وعشرين ساعة لأنزع زيّ علماء الدين، وأخرج من سلكهم، وأترك المسجد والمنبر! فاضطررت إلى الفرار وذهبت إلى النجف، وكانت هذه بإرادة الله تعالى، وسبب خير للاستفادة من كبار الأساتذة».

وُفّق الشهيد دستغيب للتّتلمذ على كبار مراجع النّجف في حينه، وفي سنّ الرابعة والعشرين حصل على درجة الإجتهاد وأُجيز من ثمانية مراجع، منهم آية الله آقا ضياء الدين العراقي، والسيد أبو الحسن الأصفهاني، والشيخ كاظم الشيرازي الذي وصفه في إجازته له بأنّه «**مُنزّهٌ عن كلّ دنيّة ومزيّن بكلّ فضيلة**».

* بعد عودته من النّجف الأشرف، أصبح الشهيد دستغيب إماماً للمسجد الجامع العتيق بشيراز، إلى جانب مواصلته لطلب العلم والمعرفة عند الفقيه العارف آية الله الشيخ محمد جواد الأنصاري الهمداني قدس سره ليقطع بإرشاداته أشواطاً رفيعة في السلوك

والعرفان.

*وفي مجال تدريس طلبة العلوم الدّينية، أدّى أدواراً أساسيّة، ما زالت الحوزات العلميّة تنعم ببركاتها. فقد كان يشدّد على التّلازم بين التّعلّم والتّزكية، ويرى أنّ العلم بمعزلٍ عن تهذيب النّفس جهلٌ محض، وأنّ التّزكية كفيلةٌ بوضع العلم في سياقه الطبيعي، فلا يُصبح نوراً إلا متى قُرن بها.

في كتابه «التّوحيد» يقول: «العلم نورٌ، والمقصود أنّه يُنير القلب. وأمّا العلم بالإستدلالات العقليّة والمصطلحات ـ ولو كانت من مصطلحات علم التّوحيد ـ فليس نوراً، إلا إذا وعاها قلب المتلقّي. كذلك هو علم الفقه المُستنبَط من روايات رسول الله والأئمة الأطهار صلوات الله عليهم، لا يُصبح نوراً إلا إذا قُرن بتهذيب النّفس. وعلى هذا فقس علوم الحديث والتّفسير. ليس المراد هَهنا، أنّ النّقص مُتأتٍّ من ناحية هذه العلوم، بل المقصود أنّ الإفادة من أنوارها مشروطٌ برفع الحُجُب عن قلب المتلقّي، ومتى رُفعت هذه الحُجُب، أصبح العالم بتلك العلوم من ورثة الأنبياء».

مَلَكات الأولياء

* من أبرز سمات الشهيد دستغيب حبّه لأهل البيت عليهم السلام ولإقامة شعائرهم، لا سيّما مجالس أبي عبدالله الحسين عليه السلام، ودعاء كُميل.

يقول رفيق دربه القديم آية الله نجابت: «لم ألتق آية الله دستغيب مرّة إلاّ وكان له حديث عن الله وعلوم أهل البيت عليهم السلام».

* ومن سماته أيضاً، حُسن الخُلق والتّواضع للمستضعفين، والسّعي إلى قضاء حوائجهم، فكان يتعمّد الذّهاب إلى صلاة الجمعة مشياً ويقول: «أريد أن أكون بين الناس في هذه الأزقّة حتى إذا كان لأحد سؤال أو مشكلة ويخجل من المجيء إلى الدار أمكنني متابعة حاجته». وفي ضوء ذلك، وصفه الإمام الخميني بـ «مرشد المحرومين».

*كان يعتقد أنّ التّشريفات ـ من قبيل الحماية والحراسة المبالغ فيهما ـ تخلق حجاباً، وأنّ هذا الحجاب الباطني منشأ كل المصائب.

* ومن تواضعه، مبادرته إلى كنس الدّار والعناية بالأطفال متى مرضت زوجته، كما يقول ابنه.

* كان يقف للصلاة في أول وقتها، فإذا شرع فيها كان كأنه ليس في هذه الدنيا. يقول أحد المقرّبين منه إنّ الشهيد حاول في إحدى سفراته تأخير موعد إقلاع الطّائرة لتعارضه مع وقت الصلاة.

* كان صامتاً في أغلب الأحيان وينصت إلى حديث غيره بدقة، وله سلوك متميز مع مخالفيه، فلا يسمح لأحد بأن يتناولهم بسوء، بل ويثني عليهم أحياناً!

* تميّز الشهيد دستغيب بإقباله على الفئات الشّابة، وكان يرى فيهم السّند الحقيقي للثورة الإسلامية، ولطالما ردّد الحديث المرويّ عن الإمام الصادق عليه السّلام: «**عليك بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير**».

* سكن داراً بسيطة في حيّ متواضع حتّى بعد انتصار الثّورة وتعيينه إماماً لجمعة شيراز وانتخابه نائباً في مجلس الخبراء عن محافظة فارس، وكان يصوم كثيراً واقتصر طعامه على شيءٍ من خبز الشعير مع البصل والملح وأحياناً شيء من الجبن، ويُعرض عن اللحوم.

الجهاد

* تلمّس الشهيد دستغيب خطورة الغزو الثقافي الأجنبي، فتصدّى له بكلّ قوّة، حتّى أنّه نجح في تعطيل مهرجان مبتذل أقامه النظام البهلوي في مدينة شيراز بحضور شخصيّات أجنبيّة، وغمز من قناة الشاه علناً.

* يقول في إحدى خطبه: «يريدون أن يسلّموا البلد إلى اليهود، لماذا نخاف من قول الحقيقة؟! نحن أحياء وندع إسرائيل وجواسيسها يتحكمون بثقافة البلد الإسلامي؟! كلاّ، هذا لن يحصل».

*اشتُهر بجرأته في التّصدّي لجهاز السافاك ولرئيسه (باكْرَوَان) بالتّحديد، وعارض بشدّة محاولات النظام البهلوي منع الحجاب ومنع علماء الدّين من التبليغ.

* ومع صدور أوّل بيان للإمام الخميني سنة 1963م، قال الشهيد دستغيب: «كلّ وجودي في خدمة الإسلام»، فطاف على علماء شيراز مستنفراً إيّاهم لدعم الإمام، وكان له خطاب أسبوعي في المسجد الجامع يفضح فيه النّظام البهلوي بشدّة، حتّى أنّ الإمام الخميني أمر باستنساخ عددٍ من خطاباته وتوزيعها في أرجاء إيران.

* جاء في وثيقة للسافاك (جهاز أمن الشاه) أنّه يحرّض الناس على الجهاد وارتداء الأكفان، وفي وثيقة أخرى مؤرّخة قبل شهر من عودة الإمام إلى ايران، يُنسب إليه قوله: «تُعلن حكومة عسكرية إسلامية. وخلال ثمانٍ وأربعين ساعة من الحكومة العسكرية الإسلامية لا يراجع أحدٌ الدوائر في شكوى أو قضية. راجعوني أنا لأحلّ لكم مشاكلكم».

* تمّ اعتقاله أكثر من مرّة، إحداها بالتزامن مع اعتقال الإمام الخميني في قم في 5 حزيران 1963، كما تعرّض للنفي والحبس لعدّة أشهر.

* وبعد نفي الإمام إلى خارج إيران، زاره أكثر من مرّة في النجف الأشرف، لإطلاعه على أوضاع ايران والإستماع إلى توجيهاته.

* يقول الشيخ هاشمي رفسنجاني في هذا الصدد: «في غياب

الشهيد دستغيب يؤم المصلين

الإمام، كان يصعب الاتصال به أحياناً، فكنّا نستشير في بعض ما يتعلق بقضايا الداخل نفراً من العلماء؛ وكان الشهيد دستغيب إحدى الشخصيات التي كنّا نستشيرها باستمرار، وكانت آراؤه مفيدة دائماً».

* مع اقتراب النصر النهائي للثورة في 11 شباط 1979، اتّصل الشهيد دستغيب برئيس شرطة شيراز وأمره بتسليم نفسه، فتحوّل بيته إلى محطّة لقادة الجيش والشرطة الراغبين بالإستسلام لقوات الثّورة.

طاعة الخميني

«من أطاع الخميني فقد أطاع الله»، «من لم يعشق الخميني لا يمكنه أن يعشق المهدي صلوات الله عليه».

* هاتان الكلمتان للشهيد دستغيب توجزان طبيعة علاقته بالإمام رضوان الله عليه، كيف لا وهو القائل: «كان الإمام يقول أموراً نشعر فيها أنه ربما لا يقول ذلك من تلقاء نفسه، وأنّ هناك أموراً فوق ما نتصور».

* جعل كلام الإمام محوراً للحديث في خُطبه، ولم يكن يستند إلى اجتهاده في قبال رأي الإمام الخميني، ويشدّد على ضرورة تقوية نظام ولاية الفقيه، كما يُنقل عن سماحة القائد آية الله العظمى الخامنئي.

* شارك بفعالية في جلسات إقرار الدستور، وأسهم في إقرار المفاصل الحرجة التي تتعلق بالمهامّ التي ينصّ الدستور على أنّها من صلاحيات الوليّ الفقيه، كالقيادة العامة للقوات المسلّحة وغيرها.

* قبل انتصار الثّورة، نشرت صحيفة «إطلاعات» مقالاً فيه تطاول على مقام الإمام الخميني، وعُلم لاحقاً أنّ المقال المذكور حُرّر في الدّيوان الملكي، بإشراف الشاه نفسه، فقال الشهيد دستغيب: «الإمام الخميني مرجع تقليد عدّة ملايين من الشيعة، ولأنّ جريدة "إطلاعات" وجّهت إليه تهماً، فطبقاً للقانون يجب اعتقال من قاموا بهذا الفعل وسجنهم من سنة إلى ثلاث سنوات».

* وفي مناسبة أخرى، رفض استقبال (باكروان) الذي ذهب إلى شيراز لمقابلته، فأرسل إليه: «لماذا تُثير هذه الجلبة والفوضى؟ تعال لنجلس ونتفاهم»، فيقول له الشهيد: «إذهب وتفاهم مع الإمام. نحن نتبعه ونطيعه».

الشهادة

« كلنا يموت والموت حق، وما أحسن ألاّ نموت على فراش النوم»، قالها قبيل أيّام من استشهاده. وكان إذا أُوصِيَ بالحرص على سلامته قال: «الشهادة فخر لنا، هل تحسدونني على بلوغ درجة تكون فخراً لي»؟ وفي ليلة استشهاده أفاق من نومه فوضع يده على جبينه، وأخذ يردّد: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

في الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الجمعة 11

السيدالقائد الخامنئي و الشهيد دستغيب

كانون الأول 1980م خرج كعادته إلى صلاة الجمعة.
يقول حارسه عندما خرج من الدار توقف قليلاً، وأحكم حزام وسطه وقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنّا لله وإنّا إليه راجعون». وما هي إلاّ لحظات حتى دوّى انفجار كبير من تدبير زمرة «منافقي خلق»، فالتحق رضوان الله عليه بالملكوت الأعلى، ونعاه الإمام الخميني في بيان وصفه فيه بـ «مهذّب النّفوس» و «المجاهد العظيم».

وصيّته

يقول آية الله الشهيد دستغيب في وصيّته: «أوصي أبنائي بتقوى الله، والتّنبّه حذرَ أن تقع منهم معصية أو يفوتهم أداء واجب، وأن يستحضروا الله تعالى في كلّ حال، وأن تكون الدّنيا دار ممرّهم والآخرة دار مقرّهم، وأن لا يغفلوا عن هذا العاجز في دعائهم».

صدقاته الجارية

* عمل الشهيد آية الله دستغيب على ترميم عدد كبير من المساجد والمدارس الدينية القديمة التي تعمّد النظام البهلوي إهمالها لطمس معالم الهويّة الإسلاميّة للشعب الإيراني. كما ساهم في بناء أكثر من خمسين مسجداً بعد انتصار الثّورة، وفي توزيع مساحات شاسعة من الأراضي على المستضعفين والمحرومين.
* ترك عشرات المؤلفات القيّمة جلّها في الأخلاق والتّفسير وسيرة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، وله شرح وحاشية على كفاية الأصول وحاشية على رسائل الشيخ الطوسي.
من أشهر مؤلفاته التي تُرجمت إلى عدّة لغات، وطُبع منها أكثر من مليون نسخة: «المعاد»، «الذنوب الكبيرة»، «القلب السليم»، «القصص العجيبة»، وقد نفدت ترجماتها العربية من الأسواق في فترة وجيزة.

مقتطفات من بيان الإمام الخميني يوم الجمعة 11 كانون الأوّل 1980 بمناسبة شهادة آية الله دستغيب،

بسم الله الرحمن الرحيم
إنّا لله وإنّا إليه راجعون
ليست الشّهادة أمراً غير اعتيادي أو ظاهرةً غير مألوفة عند أبناء الإسلام، وذريّة النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله. لقد قدّمت أمّة الإسلام العظيمة ـ من محراب مسجد الكوفة إلى صحراء كربلاء مَجْلَبَة الفخر ـ وطوال تاريخ التّشيّع القاني والنّفيس قرابين عزيزة بين يدي الإسلام. وإيران التّواقة إلى الشّهادة ليست استثناء هذه الظاهرة المباركة، فالشّهداء الحسينيّون ملءُ سمع وبصر الثورة الإسلامية.
يوم القيامة، سوف يقدّم شعبنا العزيز بكلّ افتخار طوابير طويلة من المُستَشهَدين دفاعاً عن الحق؛ بدءاً من العلماء الأعلام وأئمّة الجمعة والجماعة، إلى المضحّين والجنود في جبهات الدّفاع عن حرمة الإسلام المقدّسة.
لا ريب عندنا في أنّ نبيّ الإسلام الأعظم سوف يباهي سائر الأمم بتضحيات هؤلاء الأعزاء في الجبهات وفي الدّاخل، وبتضحياتهم في المساجد والمحاريب وفوق المنابر وفي صفوف الجماعة، وما أجمل وأعذب أن نزيد أكثر فأكثر ـ باستشهاد أبناء الإسلام والذّريّة الطّاهرة ـ إلى افتخارات نبيّنا الأعظم عند عرض الأعمال على الله تعالى.
[ثمّ يخاطب الإمام رضوان الله عليه أصحاب الأيدي الآثمة التي ارتكبت جريمة اغتيال الشهيد دستغيب]:
هبْ أنّه كان لكم ثأر مع الشّهيد بهشتي، فما هو دافعكم لقتل الشّهداء الآخرين مثل الشّهيد مدني والشهيد دستغيب اللّذين لا ذنب لهما سوى هداية الخلق ورعاية المحرومين؟
وإذا كنتم تزعمون أنّهم استحقّوا القتل بجرم الوفاء للإسلام والإنحياز إلى المحرومين والمظلومين، فما ذنب الرضّع في المهاد، الأبرياء الذين لم ينطقوا بعد، غير أنّهم وُلدوا لمسلمين يعارضون تسلّط أميركا على أرواحهم وأموالهم؟
اليوم الجمعة، يوم الصّلاة والعبادة، عمدت يد الأميركيّين المجرمة إلى سلب الشّعب الإيرانيّ وأهالي محافظة فارس المحترمين، شخصاً جليلاً، ومربيّاً جديراً، وعالماً عاملاً، لا ذنب له غير التزامه الإسلام، فأقعدوا بجريمتهم الحوزات العلميّة والشّعب الإيراني مقاعد العزاء.
لقد قتلوا حجّة الإسلام والمسلمين الشهيد الحاج السّيد عبدالحسين دستغيب، معلّم الأخلاق ومهذّب النّفوس والملتزم بالإسلام وبالجمهوريّة الإسلاميّة، قتلوه ونفراً من مرافقيه، فأدّوا ـ بذلك ـ فروض الخدمة للقوّة العظمى ولرأس الإجرام في زماننا، متوهّمين أنّهم بفعلتهم هذه يُلحقون الضّرر بالشعب الإيراني المجاهد، ويُزعزعون إرادته في المضيّ لتحقيق أهدافه.
هل نخسر هؤلاء العلماء الأكابر والمعلّمين الأجلاء، تلافياً لهزيمة أميركا في المنطقة؟
فليرحم الله تعالى هؤلاء المجاهدين العظماء، فبشهادتهم يُصان الإسلام. والعار والخزي على أميركا المجرمة وعلى أدواتها وأنصارها.
في هذه الخسارة الكبرى والفاجعة المحزنة، أُعزّي صاحب العصر والزّمان الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وأبارك لرسول الله صلّى الله عليه وآله جهاد وتضحيات الشّعب الإيرانيّ المسلم بشرائحه كافّة.
والسلام على عباد الله الصّالحين.

روح الله الموسوي الخميني